يا غبوتك يا جاد

عيناها الحزينتان البائستين غارقتا في دموع الحسرة التي انهمرت على خديها، رغم أنها أخذت تَحُثْ نفسها على ألا تذرفها أمام المُدَرّسة كي لا تظهر ضعفها أمام ابنها !! بينما المدرسة لم تعبأ بدمعها، أخذت تكيل لها الكلمات القاسية تفضح بها غباء أبنها جاد، وأنها مارأت طوال حياتها التعليمية أغبى منه، وعليها أن تسحب أوراقه، وتبحث له عن مهنه يتكسب منها، بدلاً من ضياع الوقت فيماً لاطائل منه !! وهي تصرخ في وجهها :

« أبنك ده ها يشلني دا جاب لي الضغط، ونهايتي ها تكون على أيديه لو ما سحبتيش أوراقه، وشوفتي له شغلانه تنفعه !! »

تلمح بحسرة اللمز والغمز والهمس بين التلاميذ، بينما جاد يندفع نحوها مسرعاً ويرتمي في حضنها، يستصرخها أن

تسحب أوراقه بعد أن كره الدراسة والمدرسة بمن فيها!! فلبت طلبه وأخرجته من المدرسة، بل قررت أن ترحل به بعيداً عن تلك القرية التي ما عاد يطيق كل من فيها، وتقوقع في مأساته لا يريد أن يرى أحداً ولزم الوحدة، وقبع بين جدران البيت رافضاً أي محاولة للخروج من عزلته .

نسي الناس قصة جاد وغباءه الذي لامثيل له، وطوت صفحته الأيام ولم يعد يعرف عن أخباره شيئاً، حتى كان اليوم الذي أصابت العلة قلب المدرسة فنصحها الطبيب المعالج أن تذهب إلى المدينة، فهناك طبيبٌ شابٌ ماهرٌ في إجراء تلك العمليات الدقيقة، ولم تفشل أي عملية قام بها ..

واستسلمت أبله زينب لمشرط الجراح الماهر الذي أجرى العملية بنجاح منقطع النظير، وأصبحت تحت رحمة الخراطيم وكمامة الأكسجين، والطبيب يمر عليها ليطمئن إلى نجاح العملية، ويربت على يديها ببسمة وضاءة أنارت وجه، بينما طارت من عينيها نظراتٌ هلعة ممزوجة بكل معاني الفزع والرعب، وهي تشير للطبيب بأناتٍ مكتومة لم يفهمها، وفاضت روحها بين يديه، وحينما التفت الطبيب نحو ما أشارت، وجد جاد قد نزع فيشة الأجهزة الطبية ووضع مكانها فيشة المكنسة الكهربائية، فصرخ في وجهه محتداً :

« إيه اللي عملته ده يا جاد ؟!!»

بنفس البلاهة المرسومة على وجه قال :

« عايز اشغل المكنسة علشان أنضف غرفة العمليات»

ثـم نظـر إلى ملامحهـا التـي تسـمرت نظرتهـا الذاهلـة عليـه، وقـال في اندهـاش :

« أبله زينب !! دا أنا ماشوفتكيش من زمان !!»

١٠ / ٥ / ٢٠١٧